الدرس 1 + 2

نشأة وتعريف الأدب المقارن

الأدب المقارن علم حديث يعتمد على المقارنات بين الآداب على أساس التأثيرات المتبادلة لا على الموازنة وهو علم يسعى لإبراز التواصل الثقافي بين الآداب المختلفة ، وقد تتسع دائرة الأدب المقارن لتشمل علاقات الأدب بالفنون الأخرى على أساس وجود روابط وصلات قائمة على التأثر والتأثير.

وقد عُرف الأدب المقارب بهذا الاصطلاح دون غيره من الاصطلاحات ، علماً بأن هذه التسمية في نظر الكثيرين ناقصة ، وقد صار هذا الاصطلاح علماً على الموضوع الذى نحن بصدد دراسته.

اشتهر اسم الأدب المقارن عند العرب فى العصر الحديث بهذا الاسم ، وعُرف عند الفرنسيين باصطلاح (LiteratureCompare) وعُرف هذا العلم فى الإنجليزية باصطلاح (Comparative Literature) وهى الصيغة التى تمنى ليتريه) (Littre) أن تسود ، وفى الألمانية عُرف علم الأدب المقارن باصطلاح

(Vergleichende Literaturwissem Schaft) وفى اللغات الشرقية الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية عُرف باسم (أدبيات تطبيقى).

وهذا التعريف اللغوى يعد ناقصاً ولكنة ضرورى فى نفس الوقت لسده حاجة وتعبيره عن العلم الذى يدرس المقارنات المختلفة ، وقد ذاع هذا التعريف وانتشر على الرغم من عدم وفائه بالمطلوب كما سنوضح فيما بعد .

وتعريف الأدب المقارن أمر صعب فهو اصطلاح متعب ولا شك فى أن هذا أحد الأسباب التى جعلت هذا النمط من الدراسات الأدبية يلاقى نجاحاً أقل مما كان متوقعاًله وقد كثرت التعريفات التى تبين أهمية الآداب المقارنة وكل تعريف يحدد جانباً من جوانب الدراسة الأدبية المقارنة أو يجلو تاريخاً لموضوع أدبي مقارن، واختلفت الآراء حول ماهية الآداب المقارنة تبعاً لاختلاف المدارس الأدبية والفنية ومدارس النقد فى أوربا ، إلا أن هذا لا يعنى أن ميدان الأدب المقارن ميدان نقدى.

ب: المسميات التى أطلقت على الأدب المقارن

بم عرف رينيه ويلك " الأدب المقارن" و بما عرفه جون ماري كاريه ؟

عرف رينيه ويلك الأدب المقارن بأنه " أي دراسة أدبية تتجاوز حدود الأدب القومي " و قد عرفه جون ماري كاريه بأنه " دراسة العلاقات الروحية الدولية" .

لقد أطلق على الأدب المقارن مسميات عدة لم يشتهر منها سوى هذه الاصطلاح ، فقد أطلق عليه أبل فيلمان سنة 1892 Apel) (Villemain اسم المقارنة الأدبية وان كان الاصطلاح يجعل المقارنة أساساً بين الآداب ، إلا أن هذا قد يظن أنه يشمل المقارنات داخل الأدب الواحد فى اللغة الواحدة .

وقد استعمل جورج كوفييه 1800 (G.Cuvier) اصطلاح "التشريح المقارن" إلا أن جان جاك امبير (Ampere. J . J) استعمله سنة 1848 باسم "التاريخ المقارن " وهو استعمال يقترب من ناحية ويبتعد من أخرى .

وقد أستعمله فان تيجم ومار يوس فرانسوا جويار وجان مارى كاريه وبالدنسبرجر تحت اصطلاح " تاريخ العلاقات الأدبية الدولية"

والمدرسة الألمانية تستخدم اصطلاح " تاريخ الأدب المقارن " ويذكر جويار أن أول من استخدم " تاريخ الآداب المقارنة " أمبير ثم سانت بيف 1871 وأن بوسنيت أصدر كتاباً بعنوان الأدب المقارن سنة 1886 ، وفى العام نفسه بدأ أدوار رود فى جنيف تدريس تاريخ الآداب المقارنة كما أصدر ماكس كوش فى ألمانيا مجلة الأدب المقارن فى السنة نفسها

ويرى أستاذ الأدب المقارن العربى د . محمد غنيمى هلال أن الأفضل أن يسمى " التاريخ المقارن للآداب " أو تاريخ الأدب المقارن ".

ولكن اصطلاح " أدب مقارن " أصبح الاصطلاح الأكثر ذيوعاً وانتشاراً فى جميع اللغات سواء الأوربية أو الشرقية .

جـ - الأدب و المقارن

إن الأدب المقارن اصطلاح مكون من لفظين اثنين هما :

الأدب ، والمقارن ، وطالما نتحدث عن المفاهيم فلنعرض مفهوم الأدب ، ومفهوم المقارن .

(أ) الأدب

الأدب - كما عرفه الأوربيون - كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته احساسات جمالية أو انفعالية عاطفية أو هما معاً

والأدب معرفة وإبداع يصوغ الحياة البشرية بطريقة الخاصة ، ويعبر عن ثروتها وغناها عن طريق الشخصيات الأدبية ولكن خلافاً لبقية الفنون يعتمد على الكلمة مادة له.

وكلمة " أدب" (Litterature) من الكلمة اللاتينية (littera) أى الحرف بمفهومها اللغوى فى الوقت الحاضر ، وهى كلمة حديثة لم يترسخ استعمالها إلا فى القرن الثامن عشر (

والأدب فى تعريف آخر "كل شىء قيد الطبع " وبناء على هذا نستطيع أن ندرس مهنة الطب فى القرن الرابع عشر أو حركة النجوم ومهنة السحر ، وقد احتج ادوين جرنلو (E . Greenlaw) على هذا بقوله : كل ما يمت إلى تاريخ الحضارة بصلة لا يخرج عن مجالنا)

والأدب عند العرب لغوياً يعنى الدعاء وأدب النفس والدرس والظرف وحسن التناول والأدب سمى أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح والأدب عندهم أيضاً الأخذ من كل شىء بطرف () والأدب فن يتخذ الكلمة وسيلة ليعبر بها عن خلجات الإنسان ومكنون أفكاره ومشاعره وعواطفه ، وليحصل منها صلة الوصل بين المشاعر الإنسانية الباحثة عن الخير المتجهة إلى الأفضل المناضلة فى سبيل سعادة الإنسان فى مختلف آفاق الأرض .

والأدب هو فن الكلمة ، والكلمة إما أن تكون شعراً أو نثراً ، ولا بد من توافر عنصرين إثنين لكل ما يصح أن نطلق علية أدباً هما : الفكرة وقالبها الفنى أو المادة والصيغة التى تعالج فيها وهذان العنصران ينتشران فى جميع صور الإنتاج الأدبى

المقصود من هذا القول أن يتوفر فى الأدب الشكل والمضمون، والشكل الأدبى هو القالب الذى يوضع فيه العمل الأدبى، والمضمون ما يملأ به هذا الشكل وما يستتبع من ضرورة توافر خصائص فنية .

ولا بد أن يترك الأدب أثراً فى المتلقى ، إذاً الأدب هو التأثير وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة فهو أدب والأدب بهذا المفهوم يماثل الفنون الأخرى التى تؤثر فى الإنسان مثل الرسم - الذى يؤثر باللون ودرجاته والموسيقى بالتوافق النغمى ، والأدب هنا لون من ألوان الفنون ، والفنون أنواع ولكل نوع أدواته التى يستخدمها لتحقيق التأثير.

إن مضمون الأدب هو التجربة الإنسانية ، والأدب كفن من الفنون الجميلة قوامه المعاناة والإبداع ، والأديب يدخل عالم الخلق والإبداع بكامل إمكانياته الروحية والبدنية ، ويتخذ من الحياة الإنسانية مضموناً لعمله الأدبى الذى يصيغه فى شكل شعرى أو نثرى .

(ب) المقارن :

لا يقصد بالمقارن هنا مقارنة أدب بأدب لمعرفة جوانب تفوق عمل أدبى على آخر، وليس المقصود من المقارنة الموازنة ، ولكن المقصود دراسة الأدب القومى فى علاقته التاريخية بغيره من الآداب الخارجية عن نطاق اللغة القومية التى كتب بها

فالمقارنة تكتسب عمقاً تاريخياً ولا تعتمد على الجوانب الشكلية الظاهرة أو دراسة ألوان البيان والبديع فيما يدخل ضمن علم البلاغة، فالمقارنة تبحث عن العمق التاريخى للعمل الأدبى وعلاقاته بالأعمال - والتى يرتبط بها - من خلال التأثر التأثير.

والمقارنة ليس الذى يزاوج أو يقابل أثرين أو ثلاثة آثار من آداب مختلفة ، وليست المقابلة فحسب بل هذه مجرد واحدة من طرائق علم يسمى بتاريخ العلاقات الأدبية الدولية، فالمقابلة قد تستعمل لكنها ليست أصلاً ولا يجوز لحالها.

والمقارنة وسيلة علم الأدب المقارن فبدون المقارنة لا يصبح علماً، وهى الوسيلة الأكثر إفادة لتحليل أعمال الفن بدلاً من حصر المقارنة فى كتابات اللغة نفسها(

هذا هو مفهوم الأدب - الذى أختلف حول تعريفه الأدباء والنقاد - وأوردوا لنا العديد من التعريفات - التى أوردنا منها القليل ، وأيضاً مفهوم المقارنة - بقى أن نعرف مفهوم الأدب المقارن كعلم له أسسه وقواعده وأدواته وميادينه .

د: مفهوم الأدب المقارن

إن تعريف الأدب المقارن لا يبتعد عن تعريف ميادينه ومجالاته ، فهو توصيف للموضوعات التى يتناولها ، أو قل أنه يوضح المجال الذى يجب أن تكون فيه هذه الدراسة، وقد كثرت هذه التعريفات .

والأدب المقارن كاصطلاح هو العلم الذى يبحث ويقارن بين العلاقات المتشابهة بين الأداب المختلفة فى لغات مختلفة والعلاقات المتشابهة لا بد أن تتوافر فيها عنصر التأثير ، وهو العلم الذى يعنى بالبحث والمقارنة بين العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة

بعضها والبعض الآخر وبين الآداب وبقية أنماط الفكر البشرى من فنون وعلوم وهذا التعريف يعنى توسيع نطاق دائرة البحث فى الأدب المقارن.

والمدرسة الفرنسية وروادها جويار وفان تيجم وبالنسبرجر يرون أن مفهوم الأدب المقارن هو دراسة الأداب المختلفة دراسة مقارنة ، والأساس الذى تقوم عليه المقارنة هو اللغة أى أن يكون هناك اختلاف فى لغة الأدبين اللذين يقارن بينهما .

أما المدارس الألمانية فترى دراسة الأداب المختلفة دراسة على أساس تلاقيها التاريخى بالرغم من اختلاف لغات هذه الآداب.

أما المدارس الإنجليزية فلم يظهر فيها اسم الأدب المقارن إلا متأخراً، ولكن كانت لديهم دراسات مقارنة.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن الأدب المقارن يستوعب كل الدراسات المقارنة بين الآداب المختلفة أو بين الآداب وبعضها وغيرها من الفنون بوجه خاص وبينها وبين المعارف الإنسانية بوجه عام (يقول ثوربى ثورين : إن الأدب المقارن لا يلزم أحد بأى مبدأ سوى أن المقارنة هى الوسيلة الأكثر إفادة لتحليل أعمال الفن (، هذا التعريف يجعل المقارنة أساساً لهذا العلم.

وقد ركزت بعض التعريفات على أن الأدب المقارن هو مقارنة العلاقات المتشابهة، وطالما أن هناك علاقات بين الآداب وبعضها فهى مجال الأدب المقارن، وحيثما لا علاقة بين رجل ونص وبين أثر وبيئة وبين بلد ومهاجر تتوقف العلاقة المشتركة فى الأدب المقارن لتبدأ علاقة النقد أو علاقة البيان والبلاغة . وفى تعريف لبعض النقاد - فإن الأدب المقارن هو مقابلة أدب بأدب آخر أو بآداب أخرى وبمحيطات أخرى للتعبير الإنسانى ، وهذا التعريف يتفق مع المدرسة الأمريكية التى توسع ميدان الأدب بالفنون الأخرى.

ويرى جويار (أن الأدب المقارن ذا قدرة على التعبير وما زال من العبث الولوج فى تحديده.

والأدب المقارن يدرس مواطن التلاقى بين الآداب فى لغاتها المختلفة ، وهو لا يتناول التأثيرات الفردية فحسب بل ويعنى بالنماذج العامة والأجناس الأدبية.

إن دراسة التيارات الأدبية العالمية وعلاقاتها بالأدب القومى وصلة الأدب القومى بالآداب العالمية المختلفة تأثراً وتأثيراً اخذاً وعطاء هو ميدان الأدب المقارن.

ويرى د . محمد غنيمى هلال () بعد كل هذه المفاهيم والتعريفات أن التسمية باسم الأدب المقارن ناقصة فى مدلولها .

1- ويستند هذا القول إلى أن الأدب المقارن يدرس فى الأصل مواطن التلاقى بين الآداب فى لغاتها المختلفة ، وصلاتها العديدة فى ماضيها وحاضرها ، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أيا كانت مظاهر ذلك التأثير سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس أو المذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية أو أتصلت بطبيعة الموضوعات والمرافق والأشخاص التى تعالج أو تحاكى فى الأدب أو كانت تمس وسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية فى العمل الأدبى أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة فى آداب الأمم الأخرى بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور وهذا التعريف الشامل هو التعريف الذى أرتضيه تعريفاً لكتابى دراسات فى الأدب المقارن (مع التطبيق على الآداب الإسلامية) حيث سيكون تفصيلنا تاريخياً للنماذج التى أتناولها

2- <u>النشأة و اسبابها</u>

تعود نشأة الأدب إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، و يرى العديد من الدارسين انه بالرغم من المحاولات المقارنية العديدة بين الآداب في السابق إلا أن ملامح هذا العلم بمدلولاته الحالية (الحديثة) ، لم تظهر إلا في سنة 1827 في فرنسا ، و ذلك حين بدأ المقارني الفرنسي "آبيل فيلمان" (Abel Villemain) الذي كان أول من استخدم مصطلح " الأدب المقارن " وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي، يقوم بإلقاء محاضرات في جامعة السربون حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية متناولا فيها التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي ، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، و كان هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية ، وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا.

يرجع بعض الباحثين في الدراسات الأدبية المقارنة و تاريخها بوادر نشأة الأدب المقارن إلى القرن التاسع الميلادي و هنالك من يرجعها الى تواريخ سابقة ، و غيرهم إلى تواريخ لاحقة ، و لكن المنطق يقتضي منا أن لا نقف كثيرا عند هذه الاختلافات ".و الواقع أننا لو أخذنا نبحث عن بداءات كل علم من خلال التلميحات الغامضة القديمة له لوجدنا أن جميع العلوم قديمة جدا ، لأن

أصولها المبدئية موجودة في التجربة الإنسانية و الحاجة الإنسانية إلى العلم، و لكن ما نحن بصدده الآن هو تتبع النشأة الأولى للأدب المقارن بوصفه علما حديثا "

و يرى الدكتور غنيمي هلال ، أن الأدب المقارن قد نشأ في القارة الأوروبية ،"حيث اكتمل مفهومه ، و تشعبت أنواع البحث فيه ، و صارت له أهمية بين علوم الأدب لا تقل عن أهمية النقد الحديث ، بل أصبحت نتائج بحوثه عماد الأدب و النقد معا"

و يرجع الكثيرون سبب نشأة و ظهور الأدب المقارن في القارة الأوروبية ، و في القرن التاسع عشر بالتحديد إلى الدراسات المتعددة في مجال المقارنة بين الآداب الأوروبية و دراسة العلاقات المتبادلة فيما بينها التي ظهرت في القرن الثامن عشر و التي كانت بمثابة إرهاصات لظهوره ، والتي يعود سببها هي كذلك إلى عدة عوامل ، نذكر منها على سبيل المثال :

1- ظهور مناداة لرؤية عالمية في مجال الثقافة و الأدب عند بعض المفكرين الأوروبيين أمثال فولتير و روسو و ديدرو و غوتة ، و ظهور اعتقاد بأن الآداب الأوروبية هي حصيلة تفاعلات مشتركة عميقة ، و أن الإبداع الأدبي هو تجربة مشتركة غير مقصورة على أدب دون آخر.
2- تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب و طرحه لتصور يقضي بكون الأدب هو اتجاه إنساني شامل يعنى بالتجربة الإنسانية أينما كانت ، و يتجاوز حدود الأمم و اللغات .
3- اتساع الأفق الأدبي عند الكثير من الباحثين نتيجة لازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب الأوروبية و اطلاعهم و معرفتهم بأدب بعضهم البعض ، اما عن طريق الترجمات أو عن طريق المعرفة المباشرة للغات الأجنبية.
4- نشأة فروع معرفية جديدة تعتمد على المقارنة مثل : علم الميثولوجية المقارن ، و علم التشريع المقارن ، و علم اللغة المقارن .
5- المطالبة الملحة للعديد من الباحثين الأدبيين ، و على رأسهم الفرنسي (ادغار كينيه Edgar Quienet) بضرورة إيجاد علم أدبي مقارن.

أما الأسباب التي أدت لظهور الأدب المقارن في فرنسا قبل غيرها من الدول الأوروبية الأخرى فيرجع . حسب أغلب الدارسين . لعدة عوامل كانت مواتية في تلك الفترة في فرنسا ؛ منها الثقافية ، و الاجتماعية ، و السياسية ، و التي من أهمها:

أولا : أن المناخ الثقافي الفرنسي كان مستعدا منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق في تلك الفترة لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم و الثقافة وعملوا على جعل فرنسا مركز إشعاع ثقافي في أوروبا.

ثانيا : تنبه الفرنسيين قبل غيرهم من الأوروبيين إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية ألأخرى ، مما كان سببا في نشأة أساس فكرة الأدب المقارن.

ثالثا : الرغبة الشديدة للفرنسيين في استرجاع مكانة فرنسا الثقافية الماضية ،من خلال بسط السيطرة الثقافية على المستعمرات الفرنسية في البلدان الإفريقية.